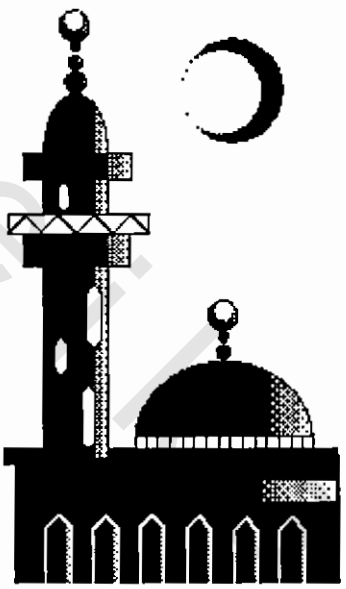

الفصل الثالث

تأثير مصر الفرعونية على مصر القبطية والإسلامية

obeikan.com

الفصل الثالث

تأثير مصر الفرعونية على مصر القبطية والإسلامية

روى الأب أبيب النقّادى[1] أنه رأى فى ثمانينيات القرن التاسع عشر، وهو شاب، جنازة لقبطى، دُفِن بالجبل الغربى (غرب النيل فى مواجهة نقَّادة) ورأى أقارب الميت يفتحون التابوت ويضع كلٌّ واحد منهم تمثالا صغيرا (فى حجم الإبهام) مع جثة الميت، ثم أغلقوا التابوت وصاح أكبر الحضور «شُوبَاتْشِى» فقام الحضور بتحريك ألسنتهم بصوت الزغردة.

ثم تصادف أن رأى جنازة لمسلم فى نفس المكان (مقابر الأقباط كانت تقابل مقابر المسلمين) بعد عدّة أيام، وقام أقارب المتوفّى بوضع تماثيل شوباشى صغيرة فى كفن الميت، وصاح أكبر الحضور «شُوبَاشِى» فقام الحضور بتحريك ألسنتهم بصوت الزغردة.

وعلّق الأب أبيب فقال: إن التراث المصرى الفرعونى ظل مؤثراً فى مصر القبطية، ثم فى مصر الإسلامية. (شوباتشى تعنى بالمصرية القديمة المردّدين، وكأنّ هذه التماثيل تردد الدعاء للميت).. ومن الأمور العجيبة أن يردد المصريون شوباش الآن فى أفراحهم، وهذا يؤكد عمق التراث الفرعونى القديم.

لا تزال كلمة «بُق» أو«بُؤّ» المصرية، إعلانا عن **Bouch** أو **Boô**

(١) الأب (الراهب) أبيب النقادى من أب صعيدى وأم من يونان المنصورة اشتغل فى كنيسة الحبشة، وفى كنيسة أرثوزكسية فى البوسنة، كان يُتْقن اللغات المصرية، فضلا عن الإنجليزية ولغات أخرى، نقل إلينا «الجبتانا» (أسفار التكوين المصرية) عن مانينون السمنودى، وكان مسئولا عن ندوة المثقفين فى المنصورة (فى فترة عمله الأخيرة فى كنيسة الريدانية) التى كان يحضرها ناجى وعلى محمود طه، وسنّان باشا ومحمود الألفى، وسليم أنطون، والأنبا تاوفيلوس (عبد الشهيد صادق بانوب) وآخرون. توفى ١٩٥٩ عن ستة وتسعين عاما.

الفرعونية بمعنى فم، بل لا تزال «البوسة» بمعنى القُبْلة مستخدمة، بلْ نُحِتَ منها الفعل «يبوس» أى يُقَبّل.

«عوزير» هو «أوزير» و «أوزيريس» مذكّر إيزيس، يروى ديودور الصقلّى أنّ أو زير هذا كان ملكا مصريا اكتشف الزراعة والصناعات والحِرف والمحراث والكتابة والأبجدية الهيروغليفية... وكلام ديودور يؤكد تحويل الأبطال والملوك القدامى إلى آلهة، حين يلتئم الشعب (بعد القبائلية) ويظهر الدين، وقد سبق أن عرضنا آراء علم الاجتماع الدينى فى أن القبيلة تحتاج إلى توتم، كما أن حركة هجرة قبائل متّحِدة يقودها «أبونيم **Eponym**» هو رئيس القبيلة، التى تحوّله إلى رمز أو زعامة أو نُبُوّة، فإذا ترابطتْ عدّة قبائل، وصارت شعبا يحتل مكانا، فهذا هو النبى المكلّف بأمر السماء.. وصار «أوزير» هو «عزيز مصر[1]» الذى اشتهر فى العالم القديم بحامى حمى مصر، وقاهر أعدائها وآخذهم أخْذَ «عزيز مقتدر»، و«عُزير» باق فى «عاشور» الشعبية، وفى «العُزّى» (صنم جاهلى) وفى «ليعاذر» المسيحية، وعاذر لأن البعث وإحياء الموتى، كان فى دائرة اختصاص أوزير ملك الموتى، الذى تحوّل فى العهد القديم والجديد إلى عزرائيل.

«عَنخ **Anx**» الفروعنية تعنى مفتاح الحياة أو بدء الحياة، وهى نفسها أخنوخ **Enoch** القبطية، ثم نراها فى الصيغة «الحاميّة» «نوح» فى القرآن.

ورث المصريون (مسيحيون ومسلمون) احتفالات فرعونية كثيرة: يوم النقطة حيث لا يحتاج الخبز إلى خميرة. يوم شم النسيم. يوم الأربعين

(١) قانون ڤيرنر فى فقه اللغة، بالتبادل بين الراء والزاى (ر = ز) فالراء أعمق فى الحلق وأسهل منها الزاى، لأنها سنانية).

(حيث كانت تنتهى مراسم التحنيط المعقدة) .

كما ورث المصريون فكرة الحاكم الإله، وطبقّها من صاغوا فكر المسيحية المصرية (وهى أساس المسيحية العالمية) بطريقة إثناسيوس الذى قال بالطبيعة المزدوجة للمسيح (ناسوت ولاهوت) ورُفض فكر القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح (ناسوت فقط) وكان يتزعمهم آريوس الذى أُضهِد وعُذّب ونُفى فى جزيرة من جزر البحر المتوسط، ثم تم اغتياله .

وتذكر كتب السيرة الإسلامية أن نبىّ الإسلام أرسل رسالة إلى « المقوقس » عظيم القبط فى مصر، يدعوه فيها إلى الإسلام، ويقول فيها نبىّ الإسلام للمقوقس : « أسْلِمْ تَسلمْ وإن لم تسلم فعليك إثم الأريسيّين » أى أتباع آريوس، والمفروض أن نبىّ الإسلام يكون فى صف آريوس، القائل بالطبيعة البشرية للمسيح، لا أن يكون فى صف إثناسيوس، القائل بجمع المسيح بين الناسوت واللاهوت . (وفى القرآن : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ** ﴾ [المائدة : ٧٣] .

كذلك، فإن « رؤيا مانيتون السمنودى » فى الجبتانا[١]، نجد لها مشابها فى الفكر المسيحى، رؤيا يوحنا اللاهوتى، ونجد لها مشابها مشهورا فى الإسلام وهو الإسراء والمعراج .

ولا يزال الفلاحون المصريون يعملون فى الزراعة وفق التقويم الفرعونى القديم (ويسمى الآن بالتّقويم القبطى : توت . بابه . هاتور . كيهك . طوبة . أمشير . برمهات . برمودة . بشنس . بؤونة . أبيب . مسرى = ١٢ شهرا X ٣٠

(١) الجبتانا ـ أسفار التكوين المصرية التى سجلها مانيتون السمنودى، ورواها الأب أبيب النقادى .

يو - = ٣٦٠، ثم خمسة أيّام نسيء لضبط السنة الشمسية عند ٣٦٥ يوماً وهي ضبط دقيق. أما لتقسيم الجرجانى الرومانى فإنّه ضَبَط السنة الشمسية عند ٣٦٥ أو ٣٦٦ يوما. أبريل يونيو سبتمبر نوفمبر = أربعة أشهر X ٣٠، ٤ X ٣٠ = ١٢٠ يوما ويناير. مارس. مايو. يوليو. أغسطس. اكتوبر. ديسمبر = سبعة أشهر ٧ X ٣١ = ٢١٧ يوما وفبراير ٢٨ أو ٢٩ يوما، إذن فالسنة ٣٦٥ يوماً أو ٣٦٦).

وواضح أنّ ضبط لسنة عند ٣٦٥ يوما عند الفراعنة ضبط دقيق، أكثر من تقويم الجرجانى وأكثر منطقية، فالشهور الفرعونية كلها ثلاثون يوما وأيام النسئ خمسة أيام (من حق المعبد الفرعونى القديم أن يزيدها كل ٤ عقود إلى ستة أيام، ومن حقّ الكرازة المرقسية ذلك).

وكان المصريون فى الزمن الفرعونى ثم فى الزمن القبطى وحتى فى الزمن الإسلامى حتى أوائل القرن التاسع عشر، يفضّلون ويحتفلون بشهر بابه، على أنه بداية شهور الشتاء حيث تقل الحشرات ويعتدل الجو.. وكان معظم المقيمين من أهل القاهرة يقضون شهر بابه، فى الحدائق والمنتجعات النيلية فى «بابه» أى متنزهات «بابه» والتى تحولت فى زمن محمد على إلى «إمبابه».

وتذكر متون الأهرام شيئاً عن اعتدال الجو فى «بابه» ونقائه من الحشرات حتى يبدو أنها كانت تؤرقهم، فتقول المتون مشيرة إلى موت أحد الملوك (ترجمة للأستاذ جيمس هنرى برستد)[1]: «السماء تبكى من أجلك. بالسحب تمطر وتجعل السماء ملبدة بالظلام، والأقواس[2] تترنّح، وعظام

١ ترجمة من المصرية الهيروغليفية لأعظم قارئ للغات المصرية وهو برستد.. والترجمة إلى العربية من ترجمة للأستاذ سليم حسن الخبير فى المصريات؛ والذى يعرف جدور الحضارة المصرية.

٢ - لأقواس تترنح» العبارة غامضة، لكن الأقرب إلى العقل ان المقصود بالأقواس مجموعات النجوم.

كلاب جهنم ترتعد والبوّابون واجمون عندما يرون جلالَ المَلِكِ «وِناسْ» يشرق عليهم فى شكل «با».

صارت الجنة الموعودة (بارا دوس = بيت النعمة) خاصة بالملوك الفراعنة بناة الأهرام، وأصحاب المتون المشهورة (متون الأهرام) التى نُقِشت من أجلهم على الحوائط الداخلية، حيث تساعد تلك المتون، باعتبارها مفاتيح سحريّة أو قوى رمزيّة على دخولهم مملكة السماء، وفق المذهب الشمسى، حيث يدخلون إلى السماء من بوابتها الشرقيّة المقدسة، حيث تقف الجميزة السماوية المقدسة، أو جميزتان السماويتان فى الشرق الأقصى من السماء.(١) حيث يعبر فرعون بحيرة السوسن وأرض العجائب التى يقابل فيها مخاطرَ كثيرة من القوى الشريّرة والتَنانين.. ويَعْبُرُ فرعون المتوفّى.. حيث يجد قارب العبور وملاحه فى انتظاره.. ولا ينظر فرعونُ إلى أمام وهو يعبر، بل إنّ اسم الملاّح هو «انظر إلى الخلف» أو «الناظر إلى الخلف»... وإن لم يعبر به الملاّح، تحوّلت القوى السحريّة صقرا يطير إلى السماء، حيث أبيه «رع» أو أمّه الصلّ أو ثعبان الكوبرا.. وإن لم يحدث ذلك تجعله المتون بقواها السحريّة يتسلّق أشعة الشمس إلى السماء «حيث أبيه السماوى(٢)» وإن أبواب السماء المزدوجة تتفتح أمام فرعون(٣) «وتصير مزاليجها

١) فى القرآن الكريم - سورة النجم - الآيتان ١٤ و ١٥: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عندها جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾. والسدرة: شجرة النبق وهى صحراوية. أما الجميزة فهى شجرة مصرية عريقة.

(٢) يشير المتن إلى «رع» أو «رب» أو «أب» على أنه الأب السماوى للفرعون، ونفس هذه التسمية فى العهد القديم، نعتقد أنها منقولة عن مصر الفرعونية، وانتقلت من العهد القديم إلى العهد الجديد «يا أبانا الذى فى السموات».

(٣) أبواب السماوات تتفتح أمام فرعون الصاعد إلى السماء «حيث أبيه السماوى» وفى القرآن الكريم: ﴿وفُتحت السَّمَاءُ فكانتْ أبْوابا﴾ [النبأ ١٩].

مـفـتـوحـة » (وهذه العـبـارة تتكرّر لفـتح أبواب السـمـاء « بطريقـة افـتح يا سمسم ») .

ويتحوّل فرعون الصاعد إلى السماء (بالقوى السحرية للمتون) إلى مارد يخيف الآلهة المتربصين، حتى أنّ إله الشمس نفسه يخشاه، لأن فرعون يعرف اسم الإله (وهو غير المحدود) ويعرف اسم والد الإله (مالك العظمة) واسم أم الإله (الرّضى)، وفرعون الصاعد إلى السماء، قادر على منع ميلاد الشمس، إذا حُجِزَ هو عند باب مملكة الشمس.

☆☆☆☆☆